الرقيق والنشاط الحرفي ببلاد المغرب
خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام

د. خالد حسين محمود
كلية الآداب – جامعة عين شمس
جمهورية مصر العربية

الكلمات المفتاحية: الرقيق، ببلاد المغرب الإسلامي، النشاط الحرفي.

لم يحظ دور الرقيق الاقتصادي ببلاد المغرب الإسلامي – إن لم يكن العالم الإسلامي – في العصور الوسطى بالاهتمام من قبل الدارسين المحدثين على كثرة ما كتب عن النشاط الاقتصادي للغرب الإسلامي، ولا نحتاج حتماً إلى كبير عناء لمحاولة التفسير، إذ ثمة مجموعة من الصعوبات تواجه من حاول اعتراك هذا المجال، وفى طليعتها قلة النصوص والوثائق، فضلاً عن حداثة حقل التاريخ المتعلق بالرق ببلاد المغرب الإسلامي، عكس الدراسات في التاريخ الحديث، والتي نحت منحاً جريئاً في هذا المجال بسبب الوفرة النسبية للمادة التاريخية[1]، ومن ثم لم يسمح شح المعلومات عن دور الرقيق الاقتصادي بالكشف عن الموضوع مما جعله بعيداً عن متناول الباحثين عرباً ومستشرقين[2].

غير أن التنقيب بدقة عن المادة المدفونة في ثنايا المصنفات القديمة وأدبيات التاريخ اللاإرادية، والبحث في التراث المخطوط خاصة، قمينٌ بإلقاء أضواء على هذا الدور المغيب، ورسم الخطوط كبرى لهذا الجانب المطموس، ربما يتغير معها الكثير من النتائج المطروحة مسبقاً عن هذا الموضوع.

في شكل ملاحظة ذات صبغة إنشائية سجل أحد الباحثين[3] أن العبيد أصبحوا يمثلون القوة المنتجة الأساسية في جميع ميادين النشاط الاقتصادي ببلاد

المنارة للاستشارات

المغرب الإسلامي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، بدءً من العمل في المناطق الزراعية ومروراً بحركة التعدين والهيكلة الحرفية وانتهاءً بالميدان التجاري، دون أن يعطي نماذج تاريخية تؤكد هذا التخريج. واعترف باحث آخر[4] بعجزه عن سبر أغوار الموضوع، بحجة أن النصوص المصدرية لم تمكنه من الإجابة عن السبب في عدم توظيف العبيد على نطاق واسع في العمل الاقتصادي، منوهاً إلى خصوبة هذا المجال أمام البحث التاريخي وداعياً إلى ضرورة عناية الباحثين بهذا الجانب. ولا شك أن سمة التهميش المصدري لنشاط الرقيق الحرفي كانت وراء هذا التخريج، وهي مسلمة لا تحتاج إلى تأكيد، فقد أجبرت النظرة الدونية للرقيق من ناحية وللأعمال الحرفية من ناحية أخرى المؤرخين على إمعان التكتم في ذكر هذه الوضعية، اللهم إلا إشارات منفلتة أثناء سرد أخبار عسكرية أو عبر ترجمة فقيه أو زاهد أو أديب.

كال أهل القلم صنوف الشتائم وألوان التقريع على الحرف ومحترفيها، فقديماً اعتبر أفلاطون الأعمال اليدوية من أخس الأعمال التي لا يجب أن يتولاها إلا العبيد؛ حتى ينصرف الأحرار لسياسة المدينة وتدبير أمورها[5]، وجاء من بعده أرسطو[6] ليؤكد تلك النظرة بقوله "إن أدق الصنائع ما قل مجال القدر فيه، وإن أخسها ما عظم إضناؤه للجسد وأجدرها بالعبيد ما كثر فيه استخدام الجسم، وأحطها شأناً ما ضؤل احتياجه إلى الحذق".

وأرخت تلك النظرة بظلالها على أهل القلم من المسلمين؛ فاعتبروا الحرف "تابعة وممتهنة"[7] "منتنة"[8] "رزيلة.. دنية"[9] "خادمة"[10]، لا يمارسها إلا "الأراذل البالغين غاية الرذالة"[11] من "الفعلة"[12] المنحطين "في دركات الخسة"[13]،والأشبه في احترافها بـ "البهائم التي ظهرت منها الصنائع"[14]،داعين أهل المروءة والشرف إلى "الأنفة من مشاكلة البهائم"[15].

المنارة للاستشارات

ومن ثم بات بديهياً أن تُترك مثل هذه الأعمال اليدوية للعبيد، في إطار النظرة المجتمعية الدونية للحرف والمحترفين، وهو ما دفع ببعض الباحثين[16] للقول بأنه لم يكن من نصيب الرقيق في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط إلا حرف وضيعة أعرض عنها السادة وسمحوا لعبيدهم بالقيام بها. ولقد برهن أهل القلم بخصوص مسألة نشاط الرقيق الحرفي –التي أفردت لها الأبواب والفصول[17] بل والمصنفات[18] –على قدرات ومهارات فذة من المنظور الصناعي استحقت مثل هذه الكتابات في حق الرقيق، وهو ما تؤكده نصيحة أحد كتاب العصر من مؤلفي الأدبيات السياسية للحكام بقوله: "لا تجالس الخدام والعبيد فإنهم يرتفعون بك عن مهنتهم فيخل ذلك بخدمتهم"[19]. ونشير في هذا الإطار إلى موقف المعز الفاطمي من مناغاة غريمه عبد الرحمن الناصر ملوك وخلفاء عصره بحجم ونوعية ما احتوته بلاده من الصنائع والصناع، مما أثار سخرية الإمام الفاطمي الذى لم يتمالك عن التصريح بأن "مثل هذا لا يفخر به ذوو العقول، بل الحاكة وأهل الصنائع إذا كانوا أغلب على أهل بلد نقضوا بهم.. فجعل هذا الجاهل هذا فخراً"[20] ثم صرح بأن الحرف والصنائع موكولة إلى "عبيدنا الذين أفاء الله عز وجل بهم علينا"[21]. وأفتى الفقهاء بأن "من قال لمولى يا خياط أو يا ابن الخياط فلا حد عليه. لأن الموالي هم أهل الصناعات"[22]. وهكذا تتواتر الإشارات عن "عبد من أهل الصناعات"[23] وعن "المماليك أهل الصناعات"[24]، وعن "عبد.. ذي صنعة قيام بالأمور"[25]، وعمن "استأجر عبداّ ذا صنعة بأجرة معلومة"[26]، وعمن "آجر عبده.. صانعاً أو صباغاً أو خياط أو صائغاً أو غير ذلك من جميع الصناعات"[27]، وعن "جارية طباخة وخبازة"[28]، وعن "الأمة النساجة أو الخبازة"[29] وعن "العبد الخياط والنجار"[30]، وعمن له "الرقيق والمصانع"[31] وعن "الرقيق ذوو الصناعات"[32]، وعن "عبد فاره صناع"[33]، وعن عبد "له

المنارة للاستشارات

صنائع"[34]، وعن "عبد ثياب مهنته"[35]، وعن "عبد ..صانع بيده"[36].كما وصفت المصادر الجواري اللائي سباهن موسى بن نصير بالسوس الأقصى أن فيهن "حسن بارع وحذق بصناعات أيديهن"[37].

اهتمت القوى السياسية بجلب العبيد من ذوى الصناعات، فقد جلب أمراء الأدارسة إلى مدينة فاس "أقواماً من الصناع من الخدم والعبيد"[38]،وصفوا بأنهم "كانوا عمالا مهرة"[39]،وذكر الرقيق القيروانى[40]أن إبراهيم بن الأغلب "أخذ في شراء العبيد وأظهر انه يريد أن يتخذ من كل صناعة صنعة تغنيه عن الرعية في كل شيء من أمورهم"، وتفاخر المعز الفاطمي بما أنتجه عبيده من "بديع الأعمال وغرائب الصنائع التي لا يحكم حذاق أهل المشرق مثلها، وان ذلك من صنعة عبيده.. من سبى الروم، وان مثل ذلك لم يتهيأ لأحد من ملوك الدنيا مثله"[41].

أشادت المصادر بالرقيق الروم وما اتصفوا به من مهارة حرفية، فقد وصفهم ابن الفقيه(نحو 340 هـ/951 م) [42]بأنهم "أهل صناعات وحكم وطب"، ونعت أبو حامد الغرناطى(ت565هـ/ 1169م)[43]الرقيق الروم بأن "عندهم صناع كثيرون في جميع الصناعات"، وامتدح صاحب مخطوط شراء الرقيق مهارة الروم قائلاً "لهم قدم عظيم في الصنائع وعمل الأيدي فيهم نجابة وذكاء مفرط، والغلام منهم إذا ثقف وعلم قبل.. الحرف بأسرها"[44].وينسحب الأمر على الجواري الروميات اللاتي "لا يخلو أن يكون بأكفهن صنائع دقيقة"[45]. وبشكل عام أشارت المصادر إلى أن "الرقيق نوعان: رجال ونساء ، وقد اختص كل جنس من الصنائع"[46].

كانت صنعة الرقيق وحرفته حاضرة باستمرار خلال عمليات بيعه وتسليفه، فضلاً عن بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بذلك، فقط ألح الموثقون على ضرورة تضمين عقد بيع الرقيق إلى جانب اسمه ونعته – ذكر صنعته إن كانت له صنعة[47]،بل

المنارة للاستشارات

أوجب أهل الحسبة على النخاس أن" يكتب اسمه وصنعته في دفتره"[48]،واعتبروا التدليس في ذلك عيباً يوجب الرد "مثل أن يشترط للأمة أن تكون ذات صنعة طباخة فوجدها لا تحسن فله الرد"[49].وتفادياً لذلك كان يتم اختبار الرقيق ذوي الصنعة عند البيع، ومن أجل ذلك وضعت مصنفات حول: "الحدس والفراسة والسياسة في امتحان من يباع من الرقيق بصناعة"[50] ، ولعل فيما أشارت إليه كتب الحسبة بخصوص الأمينة التي يعهد إليها المشترى بأن " تحمل...المرتفعات... بإرادة التقليب والاختبار ولا سيما ذوات الصناعات منهن وتقيم يومها بهن لاختبار صنعتها ،فيعطيها على وجه الشكر لها والجزاء على تهممها"[51] ما يؤكد ذلك .

كانت الحاجة إلى الاستفادة من أعمال الرقيق الحرفية وراء فتوى الفقهاء بجوار تسليف الرقيق أصحاب الصناعات، فقد سئل الفقيه سحنون(240 هـ /854م) عن تسليف الرقيق فقال "يجوز ماله صنعة فيما لا صنعة له إذا افترضت الصنائع وتباينت"[52]،وصرح ابن العطار(ت 399هـ/1008م)[53] بأنه "لا يجوز تسليف بعضهم في بعض إلا باختلاف الصناعات، مثل أن يسلم صانعا في عبدين غير صانعين، وعبدين غير صانعين في عبد صانع وتصف صناعته، وإن لم يكن لواحد منهم صناعة .. فلا يجوز تسليف بعضهم في بعض.. وتسلف الجواري بعضهم في بعض الطباخة الخبازة في اثنتين غير خبازتين ولا طباختين ".وهكذا تشير إحدى الوثائق إلى أن سيداً سلف "مملوكه الجليقي المسمى بكذا النجار أو البناء في مملوكين من رقيق الأعاجم أو البربر أو السودان"[54] ، ولا يخفى السر في تسليف عبد صانع بعبدين غير صانعين وهو أن الصنعة ترفع من السعر، وهو ما تؤكده العديد من الإشارات، فقد اشترى أحدهم "عبداً قيمته مائة درهم وعلمه صنعة فصار العبد يسوى أكثر من ذلك"[55] ، وفي حديثه عن الجواري اللاتي كان يتم تصديرهن من

المنارة للاستشارات

المغرب ذكر الاصطخري (تحوالي 346هـ/957م)[56] أنهن كن "جواري مثمنات، تأخذ الجارية والخادم من غير صناعة على وجوههما بألف دينار وأكثر"، مما يؤكد على أثر الصنعة في ارتفاع الأسعار. ولذا ذهب الفقهاء إلى أن "من الزيادة في الرقيق.. زيادة في الحال مثل العبد والجارية يتعلمان الصناعات"[57]، وانطلاقاً من ذلك، لما سئل الفقيه ابن القاسم ت191هـ/806م عن "جارية فصيحة عربية ثمنها ألف دينار تباع بجاريتين وخشتين .. إلى أجل، قال: ليس الحسن ولا الفصاحة شيئا، لو كان لجارية ثمن ألف دينار لحسنها وفصاحتها وليس في يديها صنعة من طبخ ولا خبز ولا رقم لم تحل بجاريتين ثمن عشرين ديناراً إلى أجل"[58].وهو ما دفع بالسادة لتعليم رقيقهم الحرف والصنائع لتحقيق أعلى مردود ربحي، فقد سئل أفلح بن عبد الوهاب(ت258هـ /871م) [59] "أرأيت أن دفعت غلامي إلى خياط أو قصار أو جزار ليعلمه ذلك مقابل أجر معلوم أو استأجرت رجلاً يعلمه شهراً، قال لا بأس"، كما ترد إشارة عن "جارية تساوى على وجهها كذا وكان وبيدها صنعة ويسأل بها صاحبها من اجل صنعتها كذا وكذا أكثر مما تساويه بغير صنعة"[60].

ناقش الفقهاء بعض التفريعات الفقهية المتعلقة بصنعة الرقيق وحرفته، من ذلك موضوع مكاتبة الرقيق، حيث اشترط الفقهاء للمكاتبة أن يكون للرقيق صنعة يتكسب منها، فقد نقل عن مالك قوله "إن الأمة التي لا حرفة لها يكره مكاتبتها لما يؤدى إليه من فسادها"[61]،وهو ما أفتى به سحنون[62] حين كره "أن تخارج الجارية التي ليس بيدها صنعة ولا تكاتب ولا لها عمل معروف"، وتبعه في ذلك فقهاء المالكية[63] والإباضية[64] والشيعة[65].

واستناداً لذلك اشتراط الموثقين تضمين صنعة الرقيق المكاتب في عقد المكاتبة، ففي وثيقة مكاتبة مملوك أُثبتَ بها أصله واسمه إلى جانب صفته "الحجام أو الرقام أو

المنارة للاستشارات

الصانع صناعة كذا"[66]، كما نبه الموثق في وثيقة مكاتبة رجل على مملوكه إلى أنه "إن كانت له حرفة ذكرتها نحو الحجام أو البناء أو الصانع أو ما كان"[67].وأحيانا كان ينسب الرقيق إلى صنعتهم في عقود عتقهم[68].

كان وعي الفقهاء بأهمية صنعة الرقيق وما تدره من أرباح للسادة وراء صدور بعض الأحكام الفقهية الأخرى، فقد صرح ابن أبي زيد القيرواني(ت 386هـ/ 928م)[69] على أنه من "قطع يد عبد نساج أو صانع بيده ضمن قيمته أجمع ويأخذه، وإن كان على غير ذلك فانه عليه ما بين القيمتين" كما نلمح التمييز في أحكام القصاص بين العبد الصانع والعبد غير الصانع، حيث نصت الفتوى على أنه "من قطع يداً واحدة من عبد فاره صناع فانه يضمن قيمته لربه ويعتق عليه"[70]، ولا يخفى مدى الحرص الشديد من جانب الفقهاء في الحفاظ على يد الرقيق المحترفة من خلال تشديد العقوبة على المعتدى عليها، في ظل مجتمع أنف السادة فيه من مباشرة الأعمال الحرفية. ونلمح نموذجاً آخر لهذا التمييز فيما يتعلق بعبيد المفقود، حيث امتاز أهل الصنعة منهم بأحكام تتناسب مع خصوصيتهم الحرفية، فقد دعا الفقهاء أن ينظر الحكام "في عبيد المفقود فمن كان له منهم غلة أو صناعة يرغب له فيها، ويكون حبسه على المفقود نظرا .. باستغلاله ومؤاجرته وإقامة ما يقوم منه العمل وتستدام به الغلة له، وانفق عليه .. وصرف ما يفضل من خراج العبد في مصالح المفقود .. أو كان عبداً غير صانع ولا حاجة إليه .. باعه وحبس ثمنه للمفقود"[71]، ونتوفر بهذا الخصوص على نازلة دالة تتعلق بتاجر ترك جارية وغاب عنها إلى ناحية تونس، وطالت غيبته، وادعت الجارية الضياع، مما استدعى تدخل القاضي فحكم ببيعها، وحين عاد السيد وأخبر بالحكم رفع مظلمته ضد القاضي وذكر "أنها صناعة اليدين يمكنها إتمام نفقتها بعد ما ترك لها من صنعة يديها"[72]. كما ينسحب أثر

المنارة للاستشارات

صنعة الرقيق على الرقيق الآبق، والذى أفتى فقهاء المالكية ببيعه إلا "إذا كان للعبد صنعة تقوم بنفقته"[73].

يمكن التعرف على طبيعة بعض الأعمال الحرفية التي أشتغل بها العبيد من خلال مطالعة المصادر، ففيما يخص **عملية التعدين** انخرط العبيد في عمليات استخراج الخامات المعدنية لما تتطلبه من جهد مضنى، وهو ما حدا بأحد الدارسين[74] إلى اعتبار "العبيد القوة المحركة في العمل الجماعي في المزارع الكبرى وفى المناجم". وهكذا تشير المصادر إلى عمل العبيد بمناجم الملح في الصحراء خاصة العبيد السودان[75]،منها مناجم مدينة تغازي التي تقع جنوب سجلماسة، والتي "لا يسكنها إلا عبيد مسوفة الذين يحفرون على الملح ويتعيشون بما يجلب إليهم من السودان"[76]. وحسب رواية أخرى فقد كان أهل تغازي "أهلها عبيد مسوفة .. شغلهم جمع الملح طول السنة، يأتيهم القفل في كل سنة مرة يبيعون الملح ويأخذون من ثمنه قدر نفقاتهم، والباقي يؤدونه إلى ساداتهم من مسوفة"[77].ورغم تأخر مصادر تلك المعلومات عن فترة البحث، فإننا نعتقد أنها تصور بدقة الدور الحرفي للرقيق في العصور التي تهمنا، إذ أنها تلتقى مع الأهمية الخاصة التي أعطاها كل من ابن حوقل[78] والبكري[79] عن معدن الملح بتغازي وما تتطلبه عملية استخراجه من جهد شاق يتناسب وطبيعة العبيد السود على نحو خاص. وفى الإطار ذاته ترد إشارات عن عمل الرقيق باستخراج الملح في ملاحة تونس[80]، كما كان للقاضي سحنون "ملاحته يعمل بها العبيد"[81] في إطار التثمير المنجمي للأفراد.

إضافة إلى الملح، تولى الرقيق العمل في بعض المناجم المعدنية الأخرى، مثل النحاس والذهب، فحسب رواية ابن حيان الاندلسي (ت 469 هـ /1076م)[82] دخل موسى بن نصير مدينة سجلماسة "ووجد بها قوماً من الأحباش بيوض الألوان كانوا

المنارة للاستشارات

يعملون باستخراج النحاس والذهب"، وهو مجال عمل فيه الرقيق في جهات أخرى مثل السوس الأقصى؛ حيث كان "العبيد والخدم يستخرجون التبر"[83]، ومدينة تكدا التي تولى فيها العبيد سبك النحاس[84]،ووادى العلاقي جنوب أسوان والتي ذكر اليعقوبي(ت 284 هـ/897م)[85]أنه كان به "عبيد سودان يعملون في الحفر ثم يخرجون التبر كالزرنيخ الأصفر ثم يسبك"، كما ترد إشارة إلى استخراج الرقيق لمعدن المرجان في جزيرة مرسى الخرز بالبحر المتوسط القريبة من السواحل المغربية[86]،ويفهم من رواية للبكري(ت487هـ/1094م)[87] اشتراك الرقيق في استخراج بعض الأحجار المعدنية من جبل ازجونان قرب اودغشت حيث كان "يقطع فيه السودان".

ارتباطاً بالتعدين، ترد إشارات عن عمل الرقيق **ببعض الصناعات المعدنية**، مثل سك العملة والتي اشتهر بها الصقالبة على نحو خاص، فقد انتخب الأغالبة والفاطميون هذا الصنف من الرقيق للعمل في دور السكة، واستناداً إلى العملة الأغلبية يمكن حصر أسماء بعض الرقيق الصقالبة الذين كتبت أسماؤهم على القطع النقدية، باعتبارهم مشرفين على ضربها، مثل موسى الذى كتب اسمه أسفل اسم إبراهيم الأول، ومسرور الذي كتب اسمه أسفل اسم زيادة الله الأول، وخلف أسفل اسم أبى العباس، وحسن أسفل اسم أبى الغرانيق، وبلاغ وشاكر أسفل اسم ابراهيم الثاني، وخطاب أسفل اسم زيادة الله الثالث، وقد وردت أسماؤهم مجردة من أي لقب أو كنية باعتبارهم رقيق[88].

وبالموازاة، استفاد الفاطميون من الصقالبة في سك العملة، فقد ذكر الجوذرى[89]أن نظيف الصقلبي متولى بيت المال والمهدية رفع إلى المهدي كتاباً ذكر فيه ما وقع بينه وبين الصقلبي "علوش السكاك من المشاجرة على الطبع بسكة المهدية،

المنارة للاستشارات

وما نسبوه إلى علوش في أمر العيار"، مما استدعى تدخل المهدى آمراً خادمه جوذر أن "يختبر عليه ما بأيدي الناس ففيها المصانعة".

نتوفر على إشارات تفيد بعمل الرقيق في الصياغة وبعض الحرف المعدنية الأخرى، فقد اشترى الحاجب جعفر للمهدي الفاطمي أثناء اقامته بسجلماسة "روميا صائغاً من امرأة من أهل سجلماسة سماه مسلماً"[90]، وفى ترجمتها للشاعر القيرواني الحسن بن رشيق تذكر المصادر أن أباه كان "مملوكاً رومياً لرجل من أهل المحمدية.. علمه أبوه صنعته وهى الصياغة"[91]،ونقرأ لابن رشيق مقطوعات في غلام صائغ اسمر اللون:

اسمر اللون عسجدي يكاد يستمطر الجهاما[92]

وحسب أحد تفسيرات المصادر لتسمية فاس بهذا الاسم، تذكر احدى الروايات أن إدريس الثاني لما شرع في بنائها كان يعمل بيده من الصناع والفعلة "فصنع له بعض خدمه فأسا من ذهب فكان يمسكه بيده ويبدأ به الحفر ويختط به الأساسات للفعلة"[93] فنسبت إليه المدينة، كما ترد إشارة عمن اشتهر من "الرقيق.. بمس الحلى والدراهم".[94]

يفهم من إشارات مصدرية أخرى اشتراك الرقيق في أعمال الحدادة، إذ جرت العادة أن يعهد حكام مدينة فاس إلى "الأسرى المسيحيين أن يصنعوا .. أدوات من الحديد وأشياء أخرى.. كانوا يصنعون الأسلحة والذخيرة"[95]،وحسبما أورده ابن الأحمر[96] فإن الموالي الذين استقروا بالمغرب الإسلامي منذ الفتوحات الإسلامية المبكرة احترفوا "سبك الحديد وآلة الحرب وصنعة النحاس.. وتسمير البهائم.. والضرب للدنانير والدراهم وحلى النساء .. وتصفية معدن"، مما يشي بتسرب الرقيق إلى العمل في معظم الصناعات المعدنية.

المنارة للاستشارات

تم توظيف الرقيق في **أعمال البناء**، فقد اشتملت حقبتنا الدراسية على العديد من المدن والحواضر التي جد تأسيسها وتعميرها، مما تطلب حاجة ملحة إلى الأيدي العاملة، التي وفرتها تلك الأعداد الهائلة من الرقيق سواء عن طريق السبي أو التجارة، لا سيما وأن بعض هذه الحواضر مثل تاهرت وفاس والقيروان وغيرها قد ارتبطت بنشاط تجاري واسع خاصة مع بلاد السودان، التي اشتهر عبيدها بأنهم "يصلحون للأعمال الشاقة"[97]. فتشير إحدى الروايات إلى دور الرقيق في عملية بناء مدينة تاهرت، حيث جاء وفد من البصرة لتقديم المعونة المالية لعبد الرحمن بن رستم، وحين دخلوا المدينة "ألفوا الإمام فوق دار يطينها، والعبيد يناولونه الطين[98]"، ولما قدر للوفد ذاته العودة إلى المدنية بعد فترة وجيزة أخذتهم الدهشة لهذا الرخاء العمراني الذى تمتعت به تاهرت، والذى كان للرقيق الدور الأكبر فيه "وذلك أنهم نظروا إلى قصور قد بنيت والى بساتين قد غرست والى أرجاء قد نصبت والى حفدة قد اتخذت السور، والعبيد والخدام قد كثرت".[99]

وفى مدينة فاس عمد إدريس الثاني إلى توظيف الرقيق والاستفادة منهم في بناء المدينة وتعميرها، إذ أنه جمع "حشمه فأمرهم ببناء الديار.. فبنوا الديار.. والمسجد والسور"[100]، وحسب إشارة أخرى شاركه في البناء "بعض خدمته"[101] من "الصناع والفعلة والبنائين"[102].

ولم يدخر الأغالبة وسعاًفي الاستفادة من خدمات الرقيق المعمارية في مجموع الولاية الإفريقية، فقد تولى الرقيق بناء العديد من القلاع والحصون لصد غارات الروم على مدن البحر؛ حيث اعتاد أهل القيروان أن يخرجوا عبيدهم عند اشتداد الغارات "فابتنوا القصور على السواحل كقصور سوسة وغيرها وجعل بها من عبيد أهل القيروان للرباط فكثروا هنالك واستقلوا بمدينة سوسة"[103] "وأهل سوسة في الأصل عبيد لأهل

المنارة للاستشارات

القيروان"[104] ولعل في الرواية القائلة بأن أحمد بن الأغلب "اشترى العبيد و...بنى بأرض افريقية عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد"[105] ما يؤكد على هذا الدور المعماري للرقيق. وفي الإطار ذاته أُستخدم العبيد في بناء أسوار هذه المدن الساحلية[106]، ويبدو أن خبرة بعض الرقيق العمرانية في العصر الأغلبي لا سيما الصقالبة منهم قد رفعت بعضهم إلى مصاف العرافين والمشرفين على بعض المنشآت قد تصل إلى مدن بأكملها، فيذكر البكري[107] أن "خلف الخادم مولى زيادة الله بن إبراهيم .. هو المعروف ببناء المساجد والقناطر والمواجل"، كما برز دور مملوكه مسرور الصقلبي الذى أشرف على بناء رباط سوسة المعروف بقصر الرباط عام 206 هـ/821م، حيث نقش على لوحة الرخام بأعلى مدخل المنار هذه العبارة "مما أمر به زيادة الله بن إبراهيم أطال الله بقاه على يدى مسرور الخادم مولاه سنة ست ومائتين"[108]، وعهد الأمير الأغلبي أبو عقاب بن إبراهيم عام 223هـ/837م إلى خادمه الصقلبي "فتاتة" ببناء المسجد الجامع بمدينة سوسة، فضلاً عن الجانب القبلي من سور المدينة، ولهذا نسب المسجد إليه فعرف بمسجد بوفتاتة، كما نسب إلى هذا المملوك الصقلبي وضع أركان القصبة التي وصل إليها السور المذكور، فلما تولى أبو العباس محمد بن الأغلب أسند إلى فتاه خلف مهمة إتمام بناء القصبة وزاد فيها المنار المنسوب إليه، وقد تم تسجيل أسماء هذين المملوكين بالخط الغليظ البارز على هذه الأشغال المعمارية[109]. كما أشرف خادم صقلبي يدعى مدام عام 236هـ/850م على بناء مسجد جامع آخر بالمدينة في عهد محمد بن الأغلب[110]، كما نسب إليه تجديد سور المدينة عام 249هـ/863م[111]. وفي عام 250هـ/864م أشرف خادم يدعى نصير على بعض الإصلاحات في مسجد الزيتونة بأمر من الخليفة العباسي المستعين بالله والأمير الأغلبي أبي الغرانيق محمد بن أحمد، حيث كتب على نقش

المنارة للاستشارات

المسجد تلك العبارة "مما أمر بعمله المستعين بالله أمير المؤمنين العباسي طلب ثواب الله .. على يد نصير مولاه سنة خمسين ومئتين"[112]. وفى عام 269هـ/882م كلف إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب مملوكه شكر "الصقلبي فابتنى الماجل الذى بجامع طرابلس من الجهة الجوفية والقبة التي عليه"[113]، وهو ما ينسحب أيضاً على القنطرة التي عند مسجد الفحامين بالقيروان حيث تورع الفقيه حمديس القطان (ت289هـ/901م) عن المرور عليها لان الذى "بناها .. خدم السلطان".[114]

لم يكن الفاطميون اقل اهتماماً بتوظيف الرقيق في خدمة القطاع العمراني، فقد تولى العبيد عملية قطع الأحجار من الجبال ونقلها إلى المدن، وهكذا سجل المعز الفاطمي الشأن الكبير الذى بلغه "عبيده .. من سبى الروم .. من قطع الحجارة من الجبال بالمكان الذى لم يكن ملك من ملوك الدنيا قبله قد تهيأ فيه ذلك له"[115]، ولا يخفى ما تنطويه تلك العبارة من دلالة عن عادة حكام المغرب في تسخير العبيد في قطع الأحجار من الجبال، وأن ما افتخر به المعز هو قدرتهم على مباشرة هذا العمل في أماكن جبلية لم يصل إليها أحد قبله، ولعل فيما ذكره البكري[116] عن جبل ازجونان الذى كان "يقطع فيه السودان"، وما أورده الداعي إدريس[117] عن الإمام المنصور الذى أمر بحفر خندق حول معسكره في سفح أحد القلاع وابتناء مصلى، مما تتطلب نقل أعداد ضخمة من الحجارة عبر عمل شاق اضطره أن "قسمه على جماعات من الجند والعبيد"، ما يؤكد ذلك. كما ترد إشارة أخرى إلى قيام العبيد بقطع الأحجار ونقلها إلى المنصورية، فخلال مشروع الإمام الفاطمي المعز لإنشاء قصور ومنشآت أخرى بالمدينة أمر بنشر عمودين كبيرين بمدينة سوسة من الآثار القديمة بلغا من الضخامة أنه رأى "أن يحشد الناس إليهما من البلدان ويجلبوا من الآفاق، فما أفرد لذلك إلا طائفة من عبيده المماليك، وما أشرك معهم أحداً غيرهم،

المنارة للاستشارات

فأتوا بهما"[118]، مما يفيد بتسخير أعداد كثيرة من العبيد لهذا الغرض، وهو ما تؤكده الرواية ذاتها حين ذكرت أن العمودين أعجزا "كل من تقدم من ملوك افريقية في الجاهلية والإسلام تحريكهما من مكانهما، فضلا عن نقلهما".[119]

وبالمثل، امتلك عدد من العبيد خبرة ودرجة عالية من الدقة والإتقان في مجال البناء ما حفز الفاطميين على إسناد مهمة الإشراف على بعض المنجزات العمرانية إليهم، فعلى سبيل المثال، أشرف مدام الصقلبي على بناء قصر المنصور بالمنصورية[120]، وأشرف على تخطيط مدنية المسيلة "أحد خدم آل عبيد الله وعبيدهم"[121]، ومدينة الغدير "كان بناؤها وبناء صورها .. على يد مملوك لهم رومي يقال له بونياش"[122]، كما ترد إشارة عن دور العبيد في بناء القصر الكبير الذى بناه المعز بمدينة المنصورية.[123]

لم تقتصر الاستفادة من الرقيق في مجال البناء على الساسة والمتنفذين، بل شاركهم في ذلك أبناء الأوساط الشعبية، فقد أرسل أهل نفوسة إلى الإمام عبد الوهاب بن رستم يستفتونه عن "الطين الذى عجنه العبيد بأرجلهم وقد نجست"[124]، وكلف الفقيه الاباضى ابن يونس الوسيمي (ق3هـ/9م) بعض عبيده ببناء دار له[125]، وكان للفقيه أبو الحسن الخولاني القيرواني(ق4هـ/10م) "خدام يضربون الطوب بأيديهم"[126]، وحسب إشارة المالكي[127] كان بالقيروان مولى يدعى ابن أبى شحمة الأفريقي كان قبل عتقه "يعمل الطوب بيده .. [ب] الطين والتبن وما يصلح به عمل الطوب"، ورد إشارة تفيد باستخدام العبيد في بناء الدور وتبليط مجالسها بالرخام وتركيب أبوابها الخشبية"[128]، كما تترد في كتب الفقه مسائل عمن "له غلام يعمل الفخار .. فيبيعه".[129] وعمن قال "لعبده ابن لي هذه الدار وأنت حر"[130].

المنارة للاستشارات

بالإضافة إلى أعمال التعدين والبناء وما يرتبط بهما كحرف شاقة،تم توظيف الرقيق في مهن أخرى مثل النسيج، فقد أشاد أبو حامد الغرناطي[131] بمهارة الرقيق الرومي والصقلبي في صناعة الثياب من الكتان، وهو ما تؤكده العديد من الإشارات، فقد كشف المعز الفاطمي عن درجة التطور في صناعة الثياب والتي تجاوزت الحدود المعهودة على يد عبيده الروم والصقالبة، حين رد على رسالة الناصر الأموي والتي افتخر فيها بما يحاك له في بلد الأندلس من الخز والوشي وأصناف الثياب التي لا يحاك بالمشرق مثلها، قائلا "لو كان ذلك مما يفخر بمثله، لكان عندنا من الطراز أنواع الأعمال البديعة والصنعة العجيبة، لا يشك من رآه انه ما رأى مثله، مما يعمله عبيدنا الذين أفاء الله عز وجل بهم علينا من سبي الروم بأسيافنا، دون من فخر هو بمثله من سائر الرعايا"[132]، وهكذا تنافس الحكام والمتنفذون في ارتداء ملابس الحرير والخز والبسط التي يصنعها الرقيق، الذين تألقوا في العمليات الفنية والتقنيات الرفيعة إرضاء للأذواق الأرستقراطية، فقد بلغ المنصور الفاطمي درجة كبيرة من الإعجاب "بأعمال هؤلاء العبيد، وكثيرا ما كان يأمر .. بحفظهم ويقول: إن أعمالهم رياض مونقة"[133]، وتشريفاً لقدر قائده جوذر أنفذ إليه الإمام الفاطمي بعد عتقه أن "يثبت اسمه في الطراز من أعمال العبيد الرقامين بالذهب فيما يلبسه الأئمة .. وكذلك أيضاً مما يعمله العبيد الحصريون من عجب أعمالهم ومعجز صنعتهم"[134]. ويبدو أن هؤلاء العبيد كانوا من سبي الروم والصقالبة، تشهد بذلك إشارة عند الجوذري يذكر فيها أن "وصفاء من الرقامين كانوا قد أسلموا ثم ارتدوا عن الإسلام .. وأقاموا على النصرانية". ويمكن أن نقدر مهارة هؤلاء الرقيق في رقم الثياب والبسط بالذهب وتزيينها به، من خلال ما ذكره الجوذرى[135] أيضاً عن المعز الذين أرسل إلى قائده جوذر – بعد انتصار قائده الحسن بن عمار بين أبى الحسين في موقعة رملة عام 353هـ/964م وأسره قائدا صقلبيا من وجوه أعداءه، الذى يبدو أنه أعلن إسلامه

المنارة للاستشارات

– أن "يتقدم إلى الحصريين بعمل حصير مصلى للصقلبي المأسور ... ورسم لهم ما ينقشون في طرازها". وكانت العادة قد جرت حسبما سبق ذكره أن يكتب اسم جوذر على الطرز المنقوشة، فلم يذكر الإمام اسم جوذر في هذا الرسم تقديرا منه لضيق الموضع، إلا أن مهارة العبيد هؤلاء قد أتاحت الفرصة لاتساع المكان فحمل اسم جوذر، حيث تقدم نصير الصقلبي "إلى العبيد في ذلك، فلما بسطوا العمل بين أيديهم، اتسع الموضع لهم لذكر الاسم على ما جرى به الرسم وذلك أن الحصير عمل بذهب وتأنق الصناع في عمله"، وهكذا أثار هذا التأنق دهشة المعز حين رفع إليه العمل فبادر جوذر قائلاً له "ما جاء الحصير إلا غاية في الحسن والجودة وما منعنا أن نذكر اسمك في التاريخ إلا تقية ألا يتسع به الموضع لكثرة الكلام، فأما إذ قد وسع فذلك أوكد وأحسن عند القوم أنه من عبيدنا"، ولا يغيب عنا أن مهارة جوذر الصقلبي وخبرته بأمور النسيج قد رفعته إلى درجة المشرف العام على الطرز الفاطمية، حيث تذكر إحدى الروايات أنه لما اعتزم على الانتقال إلى الموضع الذى خصصه له المعز في قصره "احتاج إلى حصر رفيعة لفرشه، والحصريون يومئذ تحت يديه، فاستأذن ذلك، .. فرجع الجواب إليه: "استعملها لنفسك من خير السمات وأجور الصنعة"[136].

وقد بلغت ظاهرة إتقان الرقيق لصناعة المنسوجات وأحكام صنعتها أن أدرجت مصنوعاتهم تلك ضمن قوائم هدايا أهل الرياسة والشرف عنواناً للجودة وحسن الإنتاج والتألق، ولا أدل على ذلك من تلك الهدايا التي أرسلها جعفر بن على بن حمدون عام 360هـ/970م إلى الحكم المستنصر الأندلسي والتي كان من جملتها "ثلاث قباب من كتان وأربعة وأربعون خباء من كتان من أخبية العبيد".[137]

لم يقتصر دور الرقيق النسيجي على تلبية حاجيات المتنفذين من أهل الحكم والرياسة، بل امتد ليشمل أيضا متطلبات الفئات العريضة من العوام وأغمار الناس

المنارة للاستشارات

وسواد البوادي، فاستجابة لقدرات العامة المحدودة انحرفت المهارات الحرفية في هذا القطاع نحو الإبداع في مجال الإصلاح والترقيع ورفو الجنبات المتأكلة في الأثواب، ففي سبتة اشتهر غلام مملوك ببراعته في رفو الثياب أنشد فيه الشاعر محمد بن عبد الله بن هارون السبتي ق4هـ/ 10م قائلاً:

يا رافياً قطع كل ثوب ويا رشاً خيب اعتقادى

عسى بكف الوصال ترفو ما قطع الهجر فيفؤادي.[138]

وحسب رواية المالكي[139] كان لأحد نساء القيروان عبداً "رومياً .. كانت صنعته عمل الغرابيل"، كما تواترت التفاصيل عن "عبد نساج"[140] وعمن "يعلم الولد في المسجد، ويخيط له فيه عبد له الشواشي وغيرها من الثياب"[141] وعمن "أخرج عبده يعمل بالنسيج وأعطاه نصف عمله، فطرح رجل إليه ثوبا بأجرة معلومة"[142] وعن "امرأة لها زوج وهو عبد نساج"[143] وعمن "استأجر مملوك كل شهر بعشرة دراهم على انه يخيط له الثياب"[144]، وعمن "تكارى غلمانا يخيطون الثياب في كل شهر بشيء مسمى"[145]، وعن "عبد كان يعمل بنسج الثياب وأراد أن يتزوج من حرة فباع ثوبا لحر ببقرة وأعطاها لزوجته"[146]، وعمن "استأجر عبدا بغير إذن سيده للخياطة"[147]، وعن "الرقيق .. *ذوو الصناعات منهم .. من يقصر الملف والخياط والصباغ*"[148].

وتفيد الاشارات المصدرية إلى قيام السادة بتأجير رقيقهم للعمل في مجال النسيج، حيث تشير كتب النوازل إلى رجل "تكارى غلمانا يخيطون له الثياب في كل شهر بشيء مسمى وهو يقاضى عليها الناس ويقطعها وهم يخيطون، فربما طرح على إنسان منهم شيئاً من الثبات ليخيطها في يوم على أن فرغ منها في يوم أو بعض يوم فله بقية يومه ذلك"[149]، وطرحت في الساحة الفقهية مسألة "استئجار الرقيق لصناعة الثياب مقابل نصف العشر لسيده"[150]، ومسألة استئجار صانع "للعمل في نسج

المنارة للاستشارات

الكتان أو الحرير أو الخز أو الأردية النساوية أو الرجالية...فإذا كان الأجير عبداً فلا بأس باستئجاره العشرة أعوام"[151].

ويمكن أن ندرج في هذه الحرفة عمل الإماء في الغزل والنسج حيث ارتبط الغزل بالجواري في مجموع بلاد الغرب الإسلامي خلال فترة البحث[152]،لكن بشكل لم يتعد نفعه الأسرة التي تنتمي إليها الجارية[153]،فقدكان للفقيه القيرواني محمد بن مسروق(ق3هـ/9م) "جارية ..في بيته تغزل"[154]، وكان للقاضي ميمون بن عمرو بن المعلوف (ت310هـ/922م) جارية "سوداء تغزل وتبيع غزلها وتطعمه"[155]، كما كان للفقيه القيرواني عبد الرحمن بن عبد الله الخولاني(ت394هـ/1003م) "رقيق يغزلون الصوف ويصنعون الشواشي"[156]، وفي جبل نفوسة طرحت على الفقهاء نازلة تخص "الإماء إذا كن يقعدن على الطريق يعملن الصناع مثل الغزل وغيره"[157]، كما كان بالجبل امرأة يقال لها طوسة كان عندها "خادم .. تنسج لها"[158]، وهو ما ينسحب أيضا على امرأة أخرى تدعى أم الخطاب التي دخلت بيتها "فوجدت الجواري ينسجن .. وهن ثلاث عشرة جارية"[159].

وانطلاقاً من توظيف الرقيق في مجال النسيج، ناقش الفقهاء مسألة ضمان الثياب التي تفسد عندهم من حريق أو قرض فأر أو ضياع أو تلف، حيث أفرد ابن أبي زيد القيرواني[160] فصلا تحت عنوان "في العبد يجني أو يستهلك مالا وجنايته فيما يؤتمن عليه"، استعرض خلاله أقوال الفقهاء حول المسألة، فقد " اختلف في العبد يؤتمن فيتعدى فيما أؤتمن عليه فقيل هذا في ذمته وقيل في رقبته"[161]، فقد ذهب ابن الماجشون إلى أن "كل عدى كان من العبد فيما اؤتمن عليه من وديعة أو بضاعة أو ما استؤجر على عمله .. أو ما صار بيده بأذن أهله فذلك في ذمته، إلا في وجه واحد .. أن يتعمد .. قطع الثوب .. فهذا في رقبته"[162]، بينما ذهب مالك إلى أن

المنارة للاستشارات

"كل ما جنى العبد .. وما افسد أو ضمن وهو صانع في ذمته .. لان أصله أمانة"[163] ، "إلا أن يثبت انه لم يضيعه ولا فرط فيه"[164] .

اثبت الجواري والإماء مهارة كبيرة في صناعة الطبخ و إعداد أنواع الحلوات، ففضلاً عما ورد عن "جارية طباخة .. من علية الرقيق"[165] ، كان بمدينة أودغشت "سودانيات طباخات محسنات .. يحسن عمل الأطعمة ولا سيما أصناف الحلويات مثل الجوزنيقات والوزينجات والقاهريات والكنافات والقطائف والمشهوات وأصناف الحلاوات فلا يوجد احذق بصنعتها منهن"[166] ، وفي مدينة القيروان كان لدى الفقيه أبي الفضل العباسى الغدامسي(ت349هـ/960م) خادما ماهرة في عمل أصناف الحلوى حيث أنها صنعت له يوما "غسانية محكمة الصنعة وقباط ابيض نضيج ملّوز وغير ملّوز وفالوذج وثردة حلوى بماء الورد والمسك والكافور"[167] . ولا شك أن تلك المهارة الفائقة كانت وراء ارتفاع أسعار مثل هؤلاء الجواري[168] إذ كانت "تباع الواحدة منهن بمائة مثقال وأكبر"[169] ، الأمر الذى حفز النخاسين على تدريب جواريهم على الطبخ وقيام المشترين بامتحان مستواهن فيه، إذ كان للطباخات منهن مستوى لا يرتضى عند البيع بأقل منه، ولا أدل على ذلك مما ذكره ابن بطلان[170] بقوله "عمدة الطبيخ على طيب المرق وجودة المزاج، فان اتفق للطباخة مع هذا جودة الصنعة وسرعة العمل فذاك غاية الأمل، وقل ما يتفق أن تكون كاملة في البوارد والشواء والطبيخ والحلواء على أصنافها ..والذى يمتحنون به الا سفيد باجوا لديك براكة". ويقدم السقطى[171] منهجاً قريباً من هذا في اختبار جودة الطبخ على يد الطباخات من الإماء فيما يخص مجموع الغرب الإسلامي، فيذكر نفس الأطعمة التي تنتخب للامتحان ويعلل هذا الاختبار بأن "اباريزه كثيرة وتسود مرقته، وحكمه أن يكون أبيض، وشرطها طيب العرف وجودة المزاج، فان زاد على ذلك جودة الصنعة وسرعة

المنارة للاستشارات

العمل فهي غاية الأمل، وقلما يتفق انطباعها في البوادر والشواء والطبخ والحلواء وأصنافها كثيرة".

ويبدو أن تلك الصنعة لم تكن قاصرة على الجواري وامتدت لتشمل الذكور من الرقيق[172]، فقد تحدث صاحب مخطوط شراء الرقيق[173] عن شروط خاصة يجب توافرها في العبد الذى "يصلح للطبخ" كان على رأسها سلامة "حاستى الذوق والسمع .. فكلما كانت هذه الحواس سليمة في جوهرها ذكية في حسها كان الطباخ اقصد لعمل اللذيذ من الطعام"، ونتوفر على إشارات تثبت اشتغال العبيد بالطبخ في بلاد المغرب، فقد كان لولاة افريقية مطابخ خاصة يعمل بها العبيد حيث ذكر عياض[174] في ترجمته للزاهد القيرواني البهلول بن راشد (ت183هـ/799م) أنه شاهد العبيد وهم يطبخون ويحملون قدور الطعام المطبوخ في قصر الوالي ابن العكى. وكان بمدينة فاس فقيه يدعى أبو الحسن الكياهراس(ق5هـ/11م) "كان لأبيه عبيد يعملون الهريسة فنسب إلى ذلك"[175]، كما ترد إشارة عن "غلام يطبخ هريسة"[176] وآخر "يقلى زلابية"[177].

احترف رقيق المغرب خلال فترة البحث عمل الجبن والخبز والخمور وعصر الزيتون والجزارة، فقد دخل الفقيه الاباضي يحي بن يونس (ق3هـ/9م) على أحد أصدقائه "وعنده وضبان عظيمان مملوءان لبنا، لا يمخضهما إلا أمتان تمسك كل واحدة منهما بعروة من عرى الوضب لعظمهما"[178]، وكان للفقيه التلمسانى على بن محمد (ق4هـ/10م)"مملوكة سوداء تصنع الخبز وتبيعه بسوق المدينة، وكان يتصدق بما تأخذه المملوكة من الخبز"[179]، وهو ما نجد له نظيراً بالقيروان حيث أشار الشريشى[180] إلى عمل بعض رقيق القيروان بصناعة الخبز وبيعه، وأكد ذلك ابن ابى زيد[181] حين تحدث عن دور رقيق المدينة في العمل بمطاحن الحبوب والأفران. وفى

المنارة للاستشارات

المدينة ذاتها ترد إشارات عن عمل الرقيق بصناعة الخمور وبيعها، فقد سئل ابن أبي زيد عن "بيع المماليك ممن يعصرون العنب خمراً"[182]، وشغف ابن رشيق بغلام يعمل الخمر بإحدى الحانات فانشد فيه:

وشربتها من راحتيه كأنها من وجنتيه.[183]

وكان الشاعر القيرواني عبد الوهاب بن محمد الأزدي (ت500هـ/1107م) "ألفغُلَا ما نَصْرَانِيّا خماراً"[184]. وعن دور الرقيق في عصر الزيتون ذكر عياض[185] في ترجمته للقاضي الأغلبي عيسى بن مسكين(ت295هـ/907م)أنه كان "جالسا على دكان في المعصرة وخادم له يرد الزيتون والدابة تطحن ".وعمل الرقيق بالجزارة،فحسب إشارة المالكي[186] أتى عقبة بن نافع بذود غنم لعسكره وعهد بذبحه وسلخه إلى الرقيق، ولما أمر كسيلة بالمشاركة معهم أخذته العزة قائلا "أصلح الله الأمير، هؤلاء فتياني وغلماني يكفونني"،وسئل اللخمي(ت478هـ/1085م) عن " عبيد في الجزارة وذبح الأغنام بأسواق تونس"[187]، كما طرحت في الساحة الفقهية مسألة حكم أكل الذبائح التي يذبحها الغلمان من أهل الكتاب[188].

اشتغل الرقيق باعمال النجارة، إذ تفصح رواية ابن الأحمر[189] عن عمل العبيد بمجموع الغرب الإسلامي بـ"نجارة خشب وتزويق الخشب"، كما نتوفر على نازلة تشير إلى قيام العبيد بصنع المراكب. واستنادا إلى ذلك يمكن أن نستشف مشاركة الأسرى في إنشاء دار صناعة السفن التي أسسها حسان بن النعمان بتونس، فحسب رواية البكري[190] كتب عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز والى مصر أن "يوجه إلى معسكر تونس ألف قبطي بأهله وولده .. وكتب إلى ابن النعمان أن يبنى لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين إلى أخر الدهر، وان يجعل على البربر جر الخشب لإنشاء المراكب ليكون ذلك جاريا عليهم إلى آخر الدهر، وان يصنع بها المراكب

المنارة للاستشارات

ويجاهد الروم"، إذ لا نستبعد أن يكون أولئك الأقباط من رقيق مصر، وأن أولئك البربر الذين وضع عليهم شرط استجلاب الخشب هم الأسرى الذين آثرت القيادة العربية استبقائهم في تونس والاستفادة من خبرة بعضهم في هذه الصناعة، لا سيما وأن طرفا كبيرا من سبي حسان بن النعمان كانوا من أهل تونس ممن لهم دراية بصناعة السفن حيث "كانت لهم مراكب كثيرة"[191]. وفضلا عن هذه الرواية الظنية فإننا نتوفر على إشارات أخرى تؤكد على توظيف الرقيق في صناعة المراكب، فقد انتدب المعز الفاطمي خادمه جوذر الصقلبي ومن تحت يديه من المماليك الصقالبة "في إقامة عشرة صنادل من القارب الكبير"[192]، كما شارك الرقيق السودان في المهمة ذاتها إذ لما أراد الإمام الفاطمي مهاجمة الروم أمر بصناعة المراكب "وكلف في ذلك بعض السودان"[193] واسند إليهم مهمة تثقيلها بالرخام حتى تصمد لأمواج البحر فاقتلعوا رخام المقابر "ورفدوا بها المقابر"[194]، ولعل فيما ذكره ابن حيون[195] من كثرة المراكب المصنوعة حتى "تضايق دارى الصناعة بالمهدية بالمراكب وكثرتها وما زاد منها وأن الدارين قد غصتا بها" ما يدل على وفرة الرقيق المستخدم في إنشاء هذه المراكب.

كان من بين مهن الرقيق العمل في الحمامات، فقد سئل سحنون عن "الرجل يكون له الحمام وفيه الرقيق يقومون بأمره"[196]. ويبدو أن العادة قد جرت على اكراء الحمامات برقيقها، حيث سئل الفقيه ذاته عمن له حمام "فاكراه رجلا برقيقه"[197]، وأبرزت النازلة هذا الدور من خلال تعرضها لوفاة الرقيق المكرى، واثر ذلك على انفساخ الكراء، فجاءت الفتوى بأنه "إن مات الرقيق .. و بقى الحمام كان الكراء بحاله .. وإن كان الحمام انهدم والرقيق باقية انفسخ الكراء في الرقيق والحمام"[198]، مما يشير إلى مخاطر معينة يتعرض لها الرقيق قد تودى بحياته، ومعها فلن يصعب على رب الحمام سد حاجته من الرقيق المفقود، ولنا أن نقدر أهمية دور الرقيق في الحمامات من

المنارة للاستشارات

خلال ما أفصحت عنه مصادر الفترة من ارتفاع قيمة كراء الحمام حالة تضمينه عددا من الرقيق حيث "يكرى الحمام بالرقيق خمسين دينارا، ودون الرقيق عشرة"[199]. وفضلا عن ذلك تتوافر معلومات أخرى للتأكيد على هذا النشاط، ففي القيروان ترد وثيقة عن عمل الرقيق بأحد حمامات المدينة ويسمى حمام الحاجب[200] وهو ما أكدته مروية تاريخية تتعلق بترجمة الفقيه عبد الله بن محمد (ت307هـ/919م) والذى دخل احد حمامات المدينة فأمر صاحب الحمام أحد الخدم قائلا "خذ هذا السطل، فإذا صب الماء الحار فاملأه من الميزاب ثم صب الماء الحار على بدنه فصبه، ثم دعا الخادم فقال له هلم بالنار فأتاه بها تتوقد .. حتى بخر عشرين رجلا واحدا فواحدا"[201]، وأشار الوزان[202] إلى قيام الرقيق في حمامات مدينة فاس بغسل جسم المستحم وتنظيفه، وهو ما ينسحب على فترة البحث حيث ترد إشارة في كتب التراجم تفيد بدور الرقيق في خدمة الواردين على حمامات مدينة فاس خلال القرن الرابع الهجري[203]، وحسب إشارة الداعي إدريس[204] كان بالمهدية الفاطمية حمامات يقوم على إصلاحها العبيد، وهكذا جرت العادة أن يدخل المرء الحمام ويمكث فيه "بمقدار ما يفرغ الخادم من تنظيف جسم المستحم من غير أن يباشر هو من أمور نفسه شيئاً"[205].

يندرج تحت عمل الرقيق بالحمامات عمل آخر وهو الحجامة، إذ ترد إشارات عمن "احتجم وأعطى الحجام أجره وكان مملوكا"[206]، وعمن "اشترى خادما حجاما"[207]، وعمن "لم يعط الحجام المملوك أجرته في يومه وتأخرت إلى الغد"[208]، وعمن أذن "لعبد حجام أن يحجمه أو يختنه"[209]. ولا شك أن عزوف الأحرار عن مزاولة تلك المهنة التي لقيت نظرة دونية من أفراد المجتمع ، جعلها شديدة الارتباط بالرقيق[210] ولعل في هذا السؤال الذى وجهه الإمام المهدى للرجل الذى حجمه

المنارة للاستشارات

بمدينة توزر أثناء رحلة هروبه "هل هو حر أو مملوك"[211] ما يكشف عن هذا الارتباط. ودعا الاهتمام بهذه الحرفة – نتيجة انتشارها – أهل الحسبة إلى بيان خصائص المطلعين بها والإشارة إلى المهارات الخاصة الواجب توافرها فيهم وأوجبوا "أن يكون الحجام خفيفا رشيقا، خبيرا بعملها، فيخف يده في الشروط ويستعجل ثم يعلق المحجمة .. وعلامة حذاقة الحجام خفة يده"[212].

فضلاً عما سبق، أسندت إلى الرقيق أعمال وضيعة أخرى مثل إفراغ الغائط من الدور[213]، فقد أشار ابن حيون[214] إلى تولي بعض العبيد في المهدية "كسح المراحيض والازبال"، وأخذت بعضهم الأنفة من هذا العمل مما أثار حفيظة المعز الفاطمي فصرح قائلا "ربما أردنا أن نستعمل بعض رجالنا وعبيدنا على العمل فيستقله .. ويحتقره ويرى نفسه فوق ما ندبناه"[215].ويجد هذا الموقف تبريراً من خلال ما ذكره صاحب الاستبصار[216] عن هذه النظرة الازدرائية لهذه الحرفة حتى أن الناس كانوا "يسمون الكنافين عندهم المجرمين .. لاجترامهم على حرفة موقوفة على اليهود"، ويمكن الوقوف على بعض تفصيلات تلك الحرفة من خلال كتب الحسبة، حيث أشارت إلى استخدام ممتهنيها "القفف"[217]، التي لا ترشح أو "أكوابا"[218] "كبارا يحمل كل كوب اثنان منهم .. ويكون بيد احدهم جرس يشعر به الناس"[219].

كما اشتغل الرقيق بتغسيل الموتى[220] ودفنهم إذ ترد إشارة عن رجل مات فـ"دفع الى عبيد فدفنوه"[221] ، وكحمالين لنقل البشر والبضائع، حيث أورد ابن أبي زيد[222] نازلة عمن "قال لعبده اعمل على هذه الدابة .. فعمل الغلام على الحمار وعنف عليه وحمله فوق طاقته حتى مات الحمار"، وناقش الفقهاء مسألة ضمان الحمال إن كان عبدا وذهبوا إلى القول بان "ذلك في رقبته"[223].

المنارة للاستشارات

وحرصا على استغلال طاقات العبيد ترد إشارات عن تجنيدهم لخدمة المساجد والقيام عليها، إذ كان من أهم ما يحتاج إليه المسجد "حصر وإمام وخادم"[224]، واختص أولئك العبيد في الأساس بسقي الماء وخدمة المسجد والكنس والفرش والوقود وفتح الباب وغلقه وحفظ الحصر والقناديل[225].ونتوفر بهذا الخصوص على نازلة هامة سئل من خلالها سحنون عن رجل قام فجمع من قوم مالا على أن "يشترى مملوكا يقوم باستقاء الماء في المسجد الجامع ويخدم فيها، فاشترى .. مملوكا بالغا فكان يسقى الماء في السقاية ويخدم ويرش السنين"[226]، وكانت مشاق هذه الأعمال وراء تعاصى المملوك وتخليه عن الخدمة والامتناع عن القيام بها "فباعه المحتسب واشترى آخر مكانه"[227]. وأجاز الفقهاء تقديم العبيد كأحباس على المساجد[228]، وهكذا تتوالى إشارات عمن "حبس عبداً للمسجد" [229]،وعن "العبد المحُبس في المسجد في خدمته"[230] وعن "العبد الموقوف على مسجد"[231] وعن "العبد المحُبس في خدمة المسجد"[232].ولجأ بعض الأشخاص إلى التملص من النفقة على العبيد الذين تتعثر مؤاجرتهم من خلال حبسهم على المساجد للخدمة[233].

وعمل آخرون في زراعة الأراضي الموقوفة على المساجد ممن عرفوا بـ"رقيق الحائط"[234]،واشترط بعض السادة على عبيدهم العمل في تلك الأراضي مدة معلومة ثم يعتقون بعدها[235].ويبدو أن بعض العبيد كانوا يتخلفون عن أداء تلك المهام الموكلة إليهم، أو تبدر منهم السرقة والإباق، مما دفع القائمين على المساجد إلى بيعهم واستبدالهم بآخرين يقومون مقامهم[236]،وهو ما أجازه الفقهاء إذا كان على وجه النظر والاجتهاد[237].

وحرصاً على صحة الحُبس بشكل كامل استثنى بعض المحُبسين في وثيقة حبسهم للعبيد "أن يُباع ما خبث منه وما فسد"[238]. وأجاز الفقهاء بيع من هرم منهم وعجز عن الخدمة، ليُشترى بثمنه آخر يصلح لها[239]،وأوجبوا على من قتل عبداً

المنارة للاستشارات

محبساً أن يؤدي قيمته ليُشترى بها مثله[240]،وفي حال انعدام المحبَس عليه العبيد فإنهم يرجعون إلى المحبِس أو أقرب الناس إليه حال وفاته[241].وأثيرت مسألة نفقة العبد المحُبس على من تكون؟ وهل للقائم على المسجد أن يزوجه إن أراد؟ فجاءت الفتوى بأن نفقته من بيت المال[242]،أما عن زواجه فلم يلزم الفقهاء متولي المسجد على ذلك لأنه لا مصلحة في تزويجه لما يترتب عليه من المهر والنفقة والكسوة وغيرها[243].

وفضلا عما تقدم فان مطالعة لتراجم الفقهاء والعلماء من الموالي الذين انتسبوا هم أو آباؤهم أو أجدادهم إلى صنعة معينة|، قد تنهض دليلاً على نشاط الرقيق الحرفي، مثل سليمان بن سالم (ت281هـ/894م) المعروف بابن الكحالة نسبة إلى عمل أمه وصنعتها[244]، واحمد بن داوود (ت291هـ/904م) المعروف بالصواف[245]، والفقيه نفيس السوسى الغرابيلى (ت300هـ/912م) والذى انتسب إلى مولى رومي "كانت صنعته عمل الغرابيل"[246]، وسعد بن محمد بن صبيح الحداد (ت302هـ/914م) والذى نسب إلى صنعة أبيه، وأبو الأسود بن حبيب (ت306هـ/918م) والذى عرف بالقطان[247]، ومحمد بن الفرج (ت307هـ/919م) والذى نسب إلى صنعة أبيه فعرف بابن البناء[248] واحمد بن خالد (ت330هـ/941م) والذى عرف بالدباغ نسبة إلى صنعة أبيه[249]، وعبد الله بن مسرور التجيبى(ت346هـ/957م) والذى اشتهر بصنعة أبيه وهى الحجامة فكان يقال له ابن الحجام[250].

خلاصة القول:

إن مجالات عمل الرقيق قد تعددت بين صناعات شاقة مضنية كالعمل بالمناجم والبناء والنجارة وأخرى لا تتطلب جهدا كبيرا كالنسيج والطبخ وبعض الحرف الغذائية كعمل الخبز والجبن والخمور وعصر الزيتون، ثم أخيرا بعض الحرف الوضيعة

المنارة للاستشارات

التي انف السادة من العمل فيها كالعمل في الحمامات وتغسيل الموتى والحجامة وإفراغ الغائط، حيث جمع بين هذه الأشكال المتعددة رغبة المجتمع في الاستفادة المطلقة من جهود الرقيق، ولعل في فتوى ابن سحنون[251] بخصوص "عبد يهودي وأمة يهودية يجبران على العمل يوم السبت، قال: نعم يجبران على العمل يوم السبت ولا اثم في ذلك، والعبد النصراني يجبر على العمل يوم الأحد لا يترك العمل يوم الأحد .. والمسلم يجبر على العمل يوم الجمعة"ما يؤكد ذلك.

---

[1] فهناك عشرات الدراسات التي تناولت العبيد في تاريخ المغرب الحديث، انظر هذه الدراسات عند: بل الفايدة عبد العزيز ومحمد الغرايب:" بيبليوغرافيا حول تاريخ العبيد في المغارب"، ضمن أعمال الندوة الوطنية الرق في تاريخ المغرب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، المغرب، ص ص 231-246.

[2] سبقنا إلى هذه الحقيقة بعض من الدارسين لظاهرة الرق الإسلامي. انظر مثلاً:

Lewis B: Race and color in Islam, London, 1971, p. 14, Talbi M: "Droit et Economic en ifriqiya au III'/ IX' Siecle, le paysage agricolle et le rôle des esclaves dans l'economie du pays", pp. 185-229 .

مقال بكتابه" دراسات في تاريخ افريقية وفى الحضارة الاسلامية في العصر الوسيط ، منشورات الجامعة التونسية ، سلسلة 4 ، مجلد 26، 1982، Savage E: "Berbers and Black's: Ibadi Slave Traffic in eighth – century North Africa", in Journal of African history, t.33, 1992 ,p.356. ونوهوننوه إلى دراسة الترمانيني الذى اضطرته صعوبة الموضع إلى إقصاء الدور الاقتصادي للرقيق رغم تناوله ماضي الرق وحاضره.

المنارة للاستشارات

[3] الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي – الحياة الاقتصادية والاجتماعية – ق 3-4هـ/ 9-10م، الدار التونسية للنشر، 1977م، ص 29، 30.

[4] إبراهيم القادرى: مسألة العبيد بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ضمن كتابه الإسلام السري في المغرب العربي، دار سينا للنشر، القاهرة، 1995، ص 244.

5 عبد السلام الترمانيني: الرق ماضيه وحاضره ، عالم المعرفة ، العدد 32 ، 1985.، ص ص 22، 23.

6 كتابه في السياسة، نقلا عن عبد الإله بنمليح: الرق في المغرب والأندلس خلال القرنين 5، 6 هـ، أطروحة دكتوراه الدولة في الآداب تخصص تاريخ ، كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس ، 1999-2000 م ، ص 320.

7 ابن خلدون: المقدمة، ط11 دار القلم، بيروت، 1992، ص 406.

8 الوزانى: النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والحضر، صححه عمر بن عباد، ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1999، جـ1، ص 58.

9 البرزلي: جامع مسائل البيان لما نزل بالقضايا من الاحكام، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 88 فقه مالك مصورة عن الخزانة العامة بالرباط، جـ3، ورقة 106.

10 إخوان الصفا: الرسائل، جـ1، ص 216.

11 ابن حزم: الرسائل، تحقيق إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980، جـ1، ص 403.

12 مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 9732، ميكروفيلم 10988، ورقة 30، مجهول: خطط مدينة فاس، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 610 بلدان، ميكروفيلم 9989، ورقة 10.

13 ابن الخطيب: مثلى الطريقة فى زهر الوثيقة، تحقيق عبد المجيد تركى، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 95.

14 صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ط. مطبعة السعادة، مصر، (د.ت) ، ص 13.

15 نفسه، ص 15.

16 بنمليح: م.س، ص 320،

المنارة للاستشارات

Anene (Y.C): "Slavery and Slave trade", in Africa in the nineteenth and twentieth centuries, press, P.94, Wills: 90-Willis (R.J): "The Ideology of enslavement in Islam" in Slaves and Slavery in muslim Africa, p.5,Savage (E): "Berbers and Black's: Ibadi Slave Traffic in eighth – century North Africa", in Journal of African history, t.33, 1992, P. 354.

17 انظر على سبيل المثال النواجي: مراتع الغزلان في صف الغلمان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 756 تاريخ حيث افرد باباً بعنوان "فى أصحاب الحرف الصنائع"، الموسوي: أوصاف ألف غلام وغلام، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 1039 أدب، حيث خصص بابا تحت عنوان "من اشتهر منهم بالعلوم والصناعات"، مجهول: شرى الرقيق، والذى عنون فصلا بـ "من يصلح للصنائع من الرقيق"، ابن بطلان: م.س، والذي أفرد فصلا بعنوان" ما يعتبر به أرباب الصنائع من العبيد والإماء".

18 نذكر على سبيل المثال كتاب "الفراسة والسياسة في امتحان من يباع من الرقيق بصناعة" لمؤلف يدعى أبو العباس ذكره مجهول: شراء الرقيق، ورقة 243.

19 المرادي الحضرمي: السياسة أو الإشارة فى تدبير الإمارة، تحقيق، سامى النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1981، ص 78.

20 ابن حيون المغربي : المجالس والمسايرات، تحقيق مجموعة بإشراف محمد اليعلاوي، ط2. دار الغرب الاسلامي، ، 1997.، ص 167.

21 نفسه.

22 ابن فرحون: تبصرة الحكام في أصول الاقضية ومناهج الأحكام، ط. المطبعة العامرة الشرفية، مصر، 1301هـ، جـ 2 ، ص179.

23 ابن الحوارى الاباضي: جامع ابن الحواري، ط. عمان، 1985، جـ3، ص 88.

24 ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الاندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ط. دار الثقافة، بيروت، 1965، ص 197.

المنارة للاستشارات

25 ابن أبي زيد القيرواني: النوادر والزيادات علي ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق محمد عبد العزيز الدباغ، ط. دار الغرب الاسلامي، 1999، م12، ص 327.

26 الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والاندلس والمغرب، تحقيق مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م ، جـ8، ص 293.

27 ابن فرحون: م . س، جـ1، ص 159.

28 ابن رشد: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة المعروفة بالعتيبة، تحقيق محمد حجي واخرون، ط2 دار الغرب الاسلامي، 1988، جـ7، ص 183.

29 نفسه، جـ7، ص ص 184، 185.

30 عياض: التنبيهات المستنبطة على كتب المدونة والمختلط، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم216 فقه مالك ، جـ3، ورقة 107.

31 ابن أبي زيد: م.س، م13، ص 290.

32 السجلماسي: شرح نظم العمل الفاسي، مخطوط بالهيئة العامة للكتاب تحت رقم 97 فقه مالك، ميكروفيلم 3556.، ورقة 33.

33 ابن أبي زيد: م . س ، م13 ، ص290.

34 الدباغ: معالم الايمان في معرفة اهل القيروان، تحقيق ابراهيم شبوح وآخرين، ط. مكتبة الخانجي، مصر، 1968، جـ 3 ، ص 113 ، حيث ذكر انه عبد من عبيد الفقيه القيرواني عبد الرحمن النفزاوي ت386هـ/996م

35 خليل بن اسحق: م.س، ص 173.

36 ابن أبي زيد القيرواني: م . س، م13، ص 290.

37 الحميري: كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، ط2 بيروت، 1980.، ص 330.

38 مؤلف مجهول: كتاب في الجغرافيا، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 46 بعثة المعهد الاولي إلي المغرب ، ورقة 99.

المنارة للاستشارات

39 مارمول كاربخال: أفريقيا، ترجمة محمد حجى وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1988، جـ2، ص 157.

40 تاريخ افريقية والمغرب، ص 187، ثم تابع الرواية ذاتها عند النويري: م.س، جـ24، ص 102.

41 ابن حيون: م.س، ص 180.

42 مختصر كتاب البلدان، نشرة دي غويه، ط ليدن، 1886، ص136.

43 تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربى، ط. دار الأفاق، المغرب، 1993.، ص ص70 ، 71.

44 مؤلف مجهول: التحقيق في شراء الرقيق، مخطوط بمعهد المخفوظات العربية تحت رقم 15/اجتماع ، ورقة 37، 38.

45 ابن بطلان:رسالة في شرى الرقيق وتقليب العبيد، تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة نوادر المخطوطات، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1954.، ص 377.

46 مجهول: شراء الرقيق، ورقة 243.

47 المتيطي الفاسي: النهاية والتمام في الوثائق والاحكام، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 119 فقه مالك ، ورقة 13، ، ابن فرحون:م.س، جـ1، ص 192.

48 الشيزرى: الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، 1946.، ص 84.

49 ابن هارون الكناني: اختصار النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 193 فقه مالك.، ورقة 104، ابن رشد: م.س، جـ8، ص 358.

50 مجهول: شراء الرقيق، ورقة 243.

51 السقطي: في آداب الحسبة، نشر كولان وليفي بروفنسال، ط. باريس، 1931.، ص 48.

52 النفزى: الطرر الموضوعة علي الوثائق المجموعة لابن فتوح البنتي، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 44 فقه مالك مصورة عن نسخة الاسكوريال.، ورقة 56.

المنارة للاستشارات

53 الوثائق والسجلات، تحقيق شالميتاو كورينطي، مجمع الموثقين المحريطي والمعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1973، ص ص 55، 56، المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، ط. مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1997.، ص 299.

54 ابن العطار: م .س، ص 55، المراكشي: م.س، ص 298.

55 الكدمي: المفيد من أحكام أبي سعيد، ط. وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1985، جـ3، ص 255.

56 المسالك والممالك، ط. ليدن، 1927.، ص 37.

57 ابن رشد: م.س، جـ8، ص 260.

58 م.س، جـ7، ص 182.

59 نوازله، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 21582 ب ميكروفيلم 16952، ورقة 87.

60 الخشني: قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، ص 31، بنمليح: م.س، ص 321.

61 القرطبي: تفسيره، دار الريان للتراث، ، (د. ت)، جـ6، ص 4638، ص 331، ابن أبي زيد: م.س، م13، ص 64، ابن رفيع: معين الحكام على القضايا والأحكام، تحقيق محمد بن قاسم بن عياد، ط.دار الغرب الاسلامى، 1989، جـ2، ص 848.

62 المدونة، جـ7، ص 10.

63 ابن هشام الازدي: المفيد للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الاحكام، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 1/1 مصورات الاسكوريال.، ورقة 52.

64 النزوي : المصنف، تحقيق سالم الحارثى، ط.وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1403هـ جـ30، ص 177.

65 العاملي: وسائل الشيعة إلي تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق محمد السرازي، دار إحياء التراث العربي، ط. بيروت، (د.ت)، جـ16، م1، ص 84.

66 ابن العطار: م.س، ص 238.

67 نفسه، ص 249.

المنارة للاستشارات

68 نفسه، ص 304.

69 م.س، م13، ص 290.

70 نفسه، م12، ص 396.

71 ابن العطار: م.س، ص 538.

72 الونشريسي: م.س، ج5، ص 282، الوزاني: م.س، ج10، ص 345، ابن رفيع: م.س، ج2، ص 621.

73 ابن فرحون: م.س، ج2، ص 218.

74 موريس لومباور: الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1990، ص 288.

75 Lewis (B): Race and color in Islam, London, 1971, pp 75, 76,Mauny (R): Tableau géographiaque de l'ouestafricain au moyenâge, d'aprés les sources écrites,la tradition et L'archéologie, Dakar, 1961p. 358.

76 ابن بطوطة:رحلة ابن بطوطة، تحقيق طلال حرب، ط. بيروت، 1987.، ص 658.

77 القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 26، ثم تابع: *Maunny R: op. cit, p. 350, McDougallE:" The View from AwDaghust :War , trade and Social change in the Southwestern Sahara from the Eighth to the Fifteenth century", The journal of African History, .t 26,1985, p. 26.*

78 صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.، ص 98.

79 كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن واندري فيري، ط. وزارة الثقافة، تونس، 1992، ج2، ص 866، ثم قارن *Mauny R: op. cit, pp. 321-336.*

80 مؤلف مجهول: ذكر بلاد افريقية وحدودها، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 80 جغرافيا غير مفهرس ، ورقة 11.

81 السجلماسي: م.س، ورقة 62.

المنارة للاستشارات

82 كتاب في انساب المغرب، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 45 بعثة المغرب الأولي إلي الرباط، ورقة 9.

83 مؤلف مجهول: كتاب في الجغرافيا، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 46 بعثة المعهد الاولي إلي المغرب ، ورقة 102.

84 ابن بطوطة: م.س، ص 678، بنمليح: م.س، ص 324.

85 البلدان، ط ليدن 1891-1892 ، ص 334،

Lewis:op.cit pp. 65,66.

86 المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ليدن 1967، ص 239، ابن حوقل: م.س، ص 77.

87 م.س، جـ2، ص 848.

88 ابن عذارى: كتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، الاجزاء ، تحقيق ج.س كولان وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983جـ1، ص 142، ابن الآبار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2 1985، جـ1، ص 177، محمود إسماعيل: الادارسة " حقائق جديدة"، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص 76، توفيق بن عامر: الحضارة الاسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس ، المجلد 6 ، ص ص 547، 548، -54،

Marcais (G): La BerberieMusulmane et L'orient au Moyen age, Paris, 1946,p. 82, L'ArchitectureMusulmaneD'ociden: Tunisie ,Algerie, Maroc, espagne et Sicile, Paris, 1954, pp. 6-7, Lavoix H: Catalogue de monnaiesMusulmanes de La Bibiothequenationale, Espagne et Efrique, paris, 1841, pp. 351-362, VonderheydenM: Le Berberie Orientale sous la Dynstie des BanouL'arlab, 800-909, paris, 1927, p.171.

89 سيرة الاستاذ جوذر " وبه توقيعات الائمة الفاطميين"، تحقيق محمد حسين كامل، ومحمد عبد الهادي شعيرة، ط. دار الفكر العربي، مصر، 1954، ص 91.

المنارة للاستشارات

90 اليماني: 10م سيرة جعفر الحاجب، نشر ايفانوف، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، م 4، جـ2، 1936 ، ص 122.

91 القفطي: إنباه الرواة علي أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، جـ1 1950 ص 258، ابن رشيق: انموذج الزمان في شعراء القيروان، تحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، ط.الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1986ص 439، ياقوت الحموي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1980، جـ8، ص 122.

92 ابن رشيق: ديوانه، جمع وترتيب عبد الرحمن باغي، ط. دار الثقافة، بيروت، (د.ت).، ص 168.

93 ابن أبي زرع: الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط. دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط 1973، ص 45، الجزنائي: جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1967، ص 23.

94 السجلماسي: م.س، ورقة 33.

95 مارمول كاربخال: أفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ط. الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1988، جـ2، ص 157، ثم تابع ابن سعيد عن امتهان السودان لصناعة الأسلحة خاصة القسي والسهام، كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، بيروت، 1970، ص 91.

96 وآخرون: بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور، الرباط، 1972، ص ص 24، 25.

97 مجهول: شراء الرقيق، ورقة 47.

98 تراجم علماء المغرب إلي نهاية القرن الخامس الهجري "، تحقيق ودراسة محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، م 30، 1995، ص 45، ثم تابع الرواية عند ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، ط. دار الغرب الإسلامي، 1986، ص 33، أبو زكريا: كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمن ايوب، ط. الدار التونسية للنشر، 1985، ص 88، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق ابراهيم طلاي، قسنطينة، 1974، جـ1، ص 45.

المنارة للاستشارات

99 ابن الصغير: م.س، ص 38، ثم تابع *Savage: op. cit ,p. 366.*

100 ابن أبي زرع: م.س، ص 30.

101 م.س، ص 45.

102 نفسه.

103 السراج: الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط. دار الغرب الإسلامي، 1984م، ، ج1، ص 288.

104 نفسه

105 ابن الاثير: الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط3 1998، ج6، ص 66.

106 الازموري: بهجة الناظرين وانس العارفين، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 437، تاريخ.، ورقة 16.

107 المسالك، ج1، ص 486.

108 *Greswell K.A.C: A short account of early Muslim architecture, pelican Books, 1958, p.232.*

109 حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بافريقية، مكتبة المنارة، تونس، 1966، ج2، ص ص 45، 66.

110 التجاني: م.س، ص 26.

111 نفسه.

112 *Zbiss M.S.: Corpus des Inscriptions arabes de Tunisie, Tunis, 1955, pp. 27-28.*

113 التجاني: م.س، ص 254.

114 المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، ج1، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، 1951، ص 394.

115 ابن حيون: م.س، ص 181.

المنارة للاستشارات

116 م.س، ج2، ص 848.

117 تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب "من كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار " ، السبع الخامس، تحقيق فرحات الدشراوى، ط. تونس، 1979م ، ، ص 252.

118 ابن حيون: م.س، ص 36.

119 نفسه.

120 المقريزي: المقفى الكبير، ج2، ص 161.

121 ابن حوقل: م.س، ص 85.

122 ابن حماد: اخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول احمد البدوى، ط. المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1984، ص 42.

123 ابن حيون: م.س، ص 296.

124 البارونى: أخبار مشايخ أهل الدعوة، مخطوط بمركز جهاد الليبيين، تحت رقم 2118، ورقة 5.

125 البغطورى: م.س، ورقة 45.

126 عياض: م.س، ج3، ص 369.

127 م.س، ج1، ص 303.

128 ابن سهل: م.س ج1، ص 430.

129 المدونة، ج3، ص 39.

130 ابن أبى زيد: م.س، م13، ص 65.

131 عجائب البلدان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 36 جغرافيا، ورقة 13.

132 ابن حيون: م.س، ص 167.

133 الجوذرى: م.س ، ص 52.

134 نفسه.

135 نفسه، ص 88، 89.

136 نفسه، ص 100، السامات مفردها سامة وهى عروق الذهب والفضة التي تستعمل في نسج الحصر. انظر المحقق ص 183 هامش 109.

المنارة للاستشارات

137 ابن حيان: المقتبس، ص 40.

138 ابن دحية: المطرب من أشعار اهل المغرب، تحقيق إبراهيم الابيارى وآخرون، القاهرة، 1954، ص 88.

139 ابن دحية: م.س، ص 88.

140 ابن أبي زيد: م.س، م13، ص209.

141 المازوني: م.س، جـ2، ورقة 89.

142 الرستاقي: م.س، جـ17، ص 41، الكدمي: م.س، جـ3، ص 273.

143 الكدمى: م.س، جـ3، ص 13.

144 ابن غانم الصفري: المدونة الكبري، ط. عمان، ، 1984 ، جـ1، ص 126.

145 ابن رشد: م.س، جـ8، ص 412.

146 القصرى: نوازله، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 144، بعثة المعهد الى موريتانيا، ورقة 97.

147 عياض: م.س، جـ3، ورقة 106.

148 السجلماسى: م .س، ورقة 33.

149 ابن رشد م.س، جـ8، ص 412.

150 المازونى م.س، ورقة 77.

151 المراكشى: م.س، ص 477، 478.

152 ابن حيان:المقتبس، ص 194، ابن رشد:م.س، جـ7، ص 183،جـ8، ص 487.

153 ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، جـ1، ص 324.

154 المالكي: م.س، جـ1، ص 127.

155 الأنصاري: معالم الإيمان وروضات الرضوان فى مناقب المشهورين من صلحاء القيروان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم205 تاريخ.، ورقة 162، المالكى: م.س، جـ2، ص 180، الدباغ: م.س، جـ2، ص 357.

156 الأنصاري: م.س، ورقة 164.

المنارة للاستشارات

[157] افلح بن عبد الوهاب : م . س، ورقة 34.

[158] الوسياني: سير أبي الربيع الوسياني، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 9113ح، ميكروفيلم 3271.، ورقة 180.

[159] الشماخي: م.س، ص 77.

[160] م.س، م13، ص ص 292 – 294.

[161] م.س، نفس الجزء، ص 292.

[162] نفسه.

[163] نفسه.

[164] المراكشي: م.س، ص 592، ثم قارن خليل بن اسحق: م.س، ص 173.

[165] ابن العطار: م.س، ص 56، المراكشي: م . س، ص 300.

[166] مجهول: الاستبصار.، ص 216، البكري: م.س، ج2، ص 849، الحميري: م.س، ص 64.

[167] المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، جـ 2، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994م، ص ص 448، 449.

[168] Fisher (Humphery): Slavery in the History on Muslim Black Africa, London, 2001, P.202

[169] البكري: م.س، ج2، ص849.

[170] رسالة في شرى الرقيق وتقليب العبيد، تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة نوادر المخطوطات، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1954.، ص 386. وانظر معنى هذه المطهيات عند المحقق، نفس الصفحة هامش 45.

[171] في آداب الحسبة، نشر كولان وليفي بروفنسال، ط. باريس، 1931.، ص 53.

[172] *Savage: op. cit, P.354.*

[173] مجهول: شراء الرقيق، ورقة 249.

المنارة للاستشارات

[174] ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، ط. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ، جـ1، ص 332.

[175] ابن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الاول، تحقيق محمد بن شريفه، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، جـ5، ق 2، ص 584.

[176] مجهول: شراء الرقيق، ورقة 252.

[177] نفسه.

[178] الدرجيني: م.س، جـ2، ص 318.

[179] البادسي:: المقصد الشريف والمنزع اللطيف فى ذكر صلحاء الريف، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 2061 تاريخ، ورقة 26.

[180] شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربية الحديثة للنشر، القاهرة، (د.ت).، جـ3، ص 372.

[181] م.س، م12، ص 330.

[182] البرزلي: م.س، جـ2، ورقة 9.

[183] ابن رشيق: الانموذج، ص 11، ديوانه، ص 211، ابن ظافر: بدائع البدائه، تحقيق محمد أبو الفضل، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970، ص 40.

[184] الصفدي:الوافي بالوفيات، تحقق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م،ج19،ص220.

[185] المدارك، جـ3، ص 227.

[186] م.س، جـ1، ص 26.

[187] البرزلى: م.س، جـ4، ورقة 30.

[188] المدونة، جـ3، ص 227.

[189] م.س، ص ص 24، 25، ثم تابع الداعي إدريس: م.س، جـ6، ص 90.

[190] م.س، جـ2، ص 695، ثم تابع الرواية عند الرقيق القيرواني: : قطعة من تاريخ أفريقيا والمغرب، تحقيق عبد الله العلي وعز الدين موسي، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ص 36.

المنارة للاستشارات

[191] ابن عذارى: م.س، جـ1، ص 35.

[192] الجوذرى: م.س، ص 98.

[193] المالكي: م.س، جـ1، ص 400، عياض: مدارك، جـ3، ص 239.

[194] المالكي: نفسه.

[195] م.س، ص 488.

[196] ابن رشد: م.س، جـ9، ص 38.

[197] نفسه.

[198] نفسه.

[199] نفسه.

[200] مؤلف مجهول: فهرس مكتبة القيروان، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 4391ج عربي، ميكروفيلم 50539، ورقة 131.

[201] المالكي: م.س، جـ2، ص ص 160، 161.

[202] م.س، ص 229.

[203] الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهراء النظام، ط. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة رسائل واطروحات، رقم 35، 1997، ص 66.

[204] م.س، جـ6، ص ص 53، 54.

[205] ابن خاتمة الأنصاري: تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية،تحت رقم 362 طب، ورقة 68.

[206] ابن حيون المغربي: دعائم الإسلام، تحقيق أصف بن علي اصغر، ط. دار المعارف، مصر، 1965، جـ2، ص 81.

[207] ابن سيفاو النفوسي: كتاب الإيضاح، عمان، 1983، جـ6، ص 222.

[208] ابن فرحون: م.س ، جـ2 ن ص 243.

[209] النزوى: م.س، جـ30، ص 48.

[210] ابن سيفاو: الإيضاح، جـ6، ص222، الدباغ: م .س، جـ3، ص 50.

المنارة للاستشارات

[211] اليمانى: م.س، ص 117.

[212] الشرزي:: الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العرينى، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، 1946 ، ص 117، ثم قارن ابن عبد الرءوف: م.س، ص 114.

[213] ابن أبي زيد القيروانى: م.س، م12، ص 486.

[214] المجالس والمسايرات، ص 417

[215] نفسه، ص 416.

[216] مجهول: الاستبصار، ص 202.

[217] ابن عبدون: رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب، نشر ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955. ، ص 38.

[218] نفسه.

[219] السقطي: م.س، ص 67.

[220] المالكي: م.س، جـ2، ص 129، الدباغ: م.س، جـ2، ص 48.

[221] ابن عذارى : م . س ، جـ 1 ، ص 391.

[222] م . س، م12، ص ص 278، 279.

[223] م.س، م13، ص 526.

[224] الونشريسي: م.س، جـ7، ص 47، ص 383.

[225] المراكشى: م.س، ص 508، الونشريسي:م.س،ج7،ص 17-18، 37، 57.

[226] الونشريسي: م.س، جـ7، ص 485.

[227] نفسه.

[228] الونشريسي: م.س، جـ7، ص ص 368، 383.

[229] ابن ابي زيد:م.س،ج12،ص85

[230] ابن ابي زيد:م.س،ج12،ص87.

[231] الخرشي: شرح مختصر خليل، دار الفكر،بيروت،د.ت،ج2،ص231.

[232] ابن فرحون: م.س، جـ2، ص 154.

المنارة للاستشارات

[233] ابن فرحون:م.س، ج2،ص57.

[234] سحنون:م.س، ج3،ص562،ابن أبي زيد:م.س، ج11،ص129، 132،ابن رشد:م.س، ج12،ص77.

[235] ابن حيون المغربي: دعائم الإسلام، ج2،ص306.

[236] ابن ابي زيد:م.س، ج12،ص84.

[237] ابن رشد: البيان والتحصيل، ج12،ص318،ابن فرحون:م.س،جـ2،ص154.

[238] الحطاب المالكي: أسئلة وأجوبة في الوقف والفقه، مخطوط ومعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 137 فقه مالك مصنف غير مفهرس،ورقة 63،ابن فرحون:م.س،جـ2،ص 154.

[239] ابن ابي زيد:م.س، ج12،ص86،ابن جزي:م.س،ص338.

[240] ابن شاس:م.س، ج3،ص52.

[241] ابن رشد: البيان والتحصيل، ج12،ص188.

[242] ابن شاس:م.س، ج3،ص51، البرزلي:م.س، ج5،ص428.

[243] الرملي: الفتاوى الخيرية لنفع البرية، المطبعة الميرية ببولاق، مصر، 1300هـ، ج3، ص179.

[244] عياض: مدارك، جـ1، ص505.

[245] ابن عذارى: م.س، جـ1، ص 137.

[246] المالكى: م.س، جـ2، ص 162.

[247] عياض: مدارك، جـ1 ، ص515

[248] المالكى: م.س، جـ2، ص 156

[249] نفسه، جـ2، ص 271.

[250] نفسه، جـ2، ص 422.

[251] نوازله، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 669فقه مالك.، ورقة 58.

المنارة للاستشارات